A Semiotic Analysis of the Characters in the Resistant Poetry of Mohammad Al-Fitouri (Cases of Political, Heritage, and Literary Characters)

Doi:10.22067/jallv13.i1.65995

Sadeq Fathi Dehkordi[1]
Associate Professor, Department of Arabic Language and Literature, Farabi Campus, University of Tehran.

Sakineh Hosseini
PhD student, Arabic Language and Literature, Farabi Campus, University of Tehran

Received: 9 July2020 **Accepted: 3 January 2021**

Abstract

The contemporary Sudanese poet,Mohammad Al-Fitouri,employed revolutionary personalities to indicate the pains of his society and their wishes for freedom. He has created an enthusiastic spirit in his poems. His characters portray his ambitions, opinion for national and humanitarian issues in the Arab world and represents his beliefs, the torment and oppression on people. He highlights his feelings against the harsh conditions in the Arab world. This study through descriptive-analytical approach and using semiotic analysis aimed to investigate revolutionary personalities in the poetry of Al-Fitouri to reveal the semiotic connotations. To achieve this purpose, the names of political, heritage and literary personalities were categorized and then their signs, actions and connotations in the poetic text were explored. Sometimes these characters are signs and symbols. They have multiple connotations and convey the profound meaning of the poem. The identification of the symbolic features in characters' names plays an important role in preserving national values and strengthening the spirit of hope. Among the most prominent characters were Imam Khomeini, Nelson Mandella, Salah al-Din al-Ayyubi, Antara ibn Shaddad, Abdul Khaleq Mahjoub and Sultan Taj al-Din. Results showed that the characters in the poetry of Al-Fitouri can affect the human soul and evoke ideas as such rejection, rebellion and revolution against tyranny in readers. On the other hand, words such as garden, bird, the dust, etc. have different connotations to indicate national issues. Yet, issues like rain, jungle, river, and storm represent the people who struggle to obtain freedom. His poems carry connotations such as hope and liberty and call people to fight against injustice, colonialism and defend the dignity of their homeland.

Keywords: Semiotics, Revolution, Political Figures, Heritage, Literature, Al-Fitouri.

[1] . Corresponding author. Email: s.fathi.d@ut.ac.ir

التحليل السيميائي للشخصيات في شعر محمد الفيتوري المقاوم (الشخصيات السياسية والتراثية والأدبية نموذجاً)

(المقالة المحكمة)

صادق فتحي دهكردي (أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة طهران، برديس فارابي، الكاتب المسؤول)[١]
سكينة حسيني (طالبة الدكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة طهران، برديس فارابي)

Doi:10.22067/jallv13.i1.65995
صص:٧٢-٥١

الملخّص

إنّ الشاعر السوداني المعاصر "محمد الفيتوري" من الشعراء الذين وظّفوا الشخصيات الثورية ليصوّروا آلام مجتمعهم وآماله فضلاً عن تصويرهم لآلام جميع الشعوب الحرّة وآمالهم. فقد استطاع الشاعر أن يخلق روحاً ملحمية في أشعاره، فاستخدم شخصيات مختلفة ليصوّر طموحاته في العالم العربي. استلهم الشاعر شخصيات تتضمن رموزاً يكشف من خلالها مواقفه وما يعانيه من ظلم وعذاب مستهدفاً بذلك تفسير واقع الأمة ومعالمها. فيهدف الشاعر من خلال توظيفه للشخصيات إلى تعميق نظرته للقضايا الوطنية والإنسانية، و يبرز مشاعره أمام ظروف قاسية يعيشها العالم العربي. تحاول هذه الدراسة من خلال المنهج الوصفي-التحليلي وعلى ضوء التحليل السيميائي أن تبحث عن الشخصيات الثورية في شعر الفيتوري ليتمّ الكشف عن أهم الدلالات السيميائية التي يقصدها الشاعر من وراء هذه الشخصيات، ولتحقيق هذا المقصود نحدّد أسماء الشخصيات السياسية والتراثية والأدبية ثمّ نسلّط الضوء على سماتها وأفعالها ودلالاتها في النص الشعري، وهكذا تصبح هذه الشخصيات في الأغلب علامات ورموزاً تحمل مدلولات متعدّدة ويتجلّى فيها المعنى العميق للنص الشعري. إنّ التعرّف على السمات الرمزية في أسماء الشخصيات ودلالاتها، يلعب دوراً مهماً في حفظ القيم والإنجازات الوطنية، والشعبية وتقوية روح الأمل. ومن أبرز هذه الشخصيات هو الإمام الخميني (ره)، ونيلسون مانديلا وصلاح الدين الأيوبي وعنترة بن شدّاد وعبدالخالق محجوب والسلطان تاج الدين. يظهر لنا أنّ دراسة الشخصيات في شعر الفيتوري ضروري ومهم لأنّ هذه الشخصيات لها دلالات عميقة تؤثّر في النفس الإنسانية وتُثير في نفس المتلقّي أفكاراً كالرفض والتّمرد والثورة ضد الطغيان. إنّ ألفاظ الحديقة والعصافير والتراب و... في شعره تتجلّى بدلالات مغايرة ويوظّفها الشاعر لخدمة قضايا وطنية، و تمثّل مفردات كالمطر والغاب والنهر والعاصفة، إرادة أبناء الشعب الذي ناضل من أجل الحصول على الحرية والسيادة على أرضه. ومن النتائج التي قد توصّل البحث إليها هي أنّ هذه الشخصيات عند الفيتوري، تحمل دلالات كالأمل، ومحاربة الظلم، والتحرّر، والدعوة إلى صحوة الشعب ومحاربة الاستعمار وكذلك توعية الناس وحثّهم على الدفاع عن عزّة الوطن وكرامته.

الكلمات الدليلية: السيميائية، الثورة، الشخصيات السياسية، التراثية، الأدبية، الفيتوري.

تاريخ الوصول:١٣٩٩/٤/١٩ تاريخ القبول:١٣٩٩/١٠/١٤

[١] الكاتب المسؤول: Email: s.fathi.d@ut.ac.ir

١. مقدمة

إنّ شعر المقاومة شعر ملتزم يصوّر المجتمع وما يجري فيه من الأحداث، والشاعر ما هو إلّا صوت شعبه، فقد أصبح للشعر دور أساسي في الصراع ضد الظلم والاستبداد والاحتلال والاستعمار، وأصبح الشعر يدعو إلى الصمود والمقاومة من أجل الحصول على الحرية و يستطيع أن ينقل هذه القيم إلى الأجيال القادمة، والشاعر باستطاعته أن يسلك مسلك المقاومة ضد الظلم والاستكبار بواسطة سلاح الشعر. وقد مزج الشاعر صوته بصوت الجماعة لتصبح القصيدة مرتبطة بالأحداث والوقائع معبرة عنها في صدق وواقعية. (حسين، ٢٠١٥: ٢٣٣)

يظهر لنا من خلال تأريخ قارة إفريقيا الواسعة أنّ هذه الأرض كانت زمناً مديداً في صراع ضد المستعمرين الأوروبيين، وتغلغلُ الأوروبيين في جنوب إفريقيا أكثر ظهوراً وأعمق أثراً بالنسبة إلى الأراضي الأخرى، إلّا أنّ إفريقا الجنو بية عانت مصائب كثيرة منها: تقابل البيض والسود، ونزاع الأوروبيين مع القبائل وتشكيل الحكومات الجديدة، كلّ هذا الواقع يسبّب في أن يتطرّق الكتّاب الإفريقيون إلى واقع الناس وماضي الأرض والحضور غيراللائق للأوروبيين في أرضهم وأن يميلوا إلى نقل تجاربهم المريرة في هذا الحقل، وأن يصوّروا الاتجاهات الموجودة في المجتمع وذلك ببيان أليم في قالب أدبي. (دي ثورن، ١٣٦٨: ١٩١-١٩٢)

و يعكس الأدب المقاوم كأحد الاتجاهات الأدبية المعاصرة، معاناة الشعوب وآ لامها ومطالبتها بالحريّة ضد الظلم والاستعمار الأجنبي. والرمز من العناصر التي تمنح الشعر العربي المعاصر عمقاً وطابعاً خاصاً. وتوظيف الرموز على شكل الشخصيات السياسية والتاريخية والأدبية من السمات البارزة للشعر المقاوم الذي نشهد له تنوعاً كثيراً في الشعر العربي الحديث. والفيتوري الشاعر السوداني المعاصر، من الشعراء المميزين في حقل المقاومة العربية فقد تمكّن عبر توظيفه للشخصيات الثورية أن يخلق روحاً ملحمية في حقل الشعر المقاوم العربي. وتصوّر هذه الشخصيات آمال وأهداف لمجتمع الشاعر ولسائر الشعوب.

«"فيليب هامون" ينظر إلى الشخصية بمنظور سيميولوجي، فيرى أنّها: وحدة دلالية وعلامة قابلة للوصف والتحليل، ولا تُولد إلّا من خلال ما تقوله، أو ما تفعله، أو ما يقال عنها في النص. إنّ الشخصية عنده يتمثّل في مجموعة الصفات التي تحدد هو يتها، وما يدل عليها هو ما تقوله وما تفعله، وما يقال عنها في النص». (بوداب، ٢٠١٥: ٥٨) يستدعي الفيتوري الشخصيات الثورية لتصو ير الظروف والأجواء الخانقة التي تحكم مجتمعه، و يحيي روح الأمل، والدفاع عن الكرامة الوطنية، في قلب العالم العربي و يقوّي هذا الإحساس عند جميع البلدان المظلومة، فهو يقوم بتصو ير الآلام، والآمال والظروف الصعبة عند المجتمعات المطالبة بالحريّة. إنّ التجارب الذاتية لدى الفيتوري وتعلّقه الشديد بإفريقيا والعالم العربي جعلته يقيم علاقة وثيقة بين المجتمع وأبطاله و يجد بذلك مشابهات ومقاربات كبيرة بينه و بين أبطال المقاومة. وتعلقُ الفيتوري بالثورة والتحرّر، قد جعله يميل إلى هذه الشخصيات الخالدة و يشرع ببيان آمالها وأفكارها السامية و يُصوّر ظلم الدول الأوربية وجبروتها بحق الأراضي الإفريقية. يتطرّق هذا البحث إلى محاور منها السيرة الذاتية والأدبيّة للشاعر وملامح الدعوة إلى الثورة ودراسة شخصيات سياسيّة كالإمام الخميني (ره) ونيلسون مانديلا ،

وشخصيات تراثية كصلاح الدين الأيوبي والسلطان تاج الدين وعبدالخالق محجوب وكذلك شخصيات أدبيّة كعنترة بن شدّاد وصالح على الشرنوبي. فتوظيف هذه الشخصيات الثورية ودراسة دلالاتها من السمات البارزة في الشعر المقاوم، والذي نشهد لهذا النوع من الشعر تنوعاً كثيراً في الشعر العربي الحديث.

١. ١. أسئلة البحث

١- ما اهم أسماء الشخصيات التي استخدمها الشاعر في أشعاره الثورية؟

٢- ما اهم الدلالات السيميائية التي يقصدها الشاعر من وراء تلك الشخصيات؟

١. ٢. فرضيات البحث

١-من أهم الشخصيات الثورية لدى الشاعر هو الإمام الخميني (ره)، وصلاح الدين الأيوبي وعنترة بن شداد و...وهذه الشخصيات تساهم في تبيين دلالات النص.

٢-سيميائية الشخصيات في شعر الفيتوري تكشف عن مواقفها وأفعالها والشاعر من خلالها يشير إلى روح الأمل ومحاربة الظلم والمطالبة بالحرية والصرخة بوجه الظالم والمطالبة بالحق، وكذلك توعية الناس، وترغيبهم إلى المقاومة، وإحياء الهوية الوطنية، والدفاع عن العزة والكرامة الوطنية.

١. ٣. خلفية البحث

هناك دراسات وبحوث عن الشاعر وآرائه المختلفة في الحياة والمجتمع. من أهمها:

-مقالة تحت عنوان" محمد الفيتوري من اليأس والعزلة إلى الوعي الذاتي والدعوة إلى التحرر" لسليمي وأمرايي (مجلة اللغة العربية وآدابها، العدد ٢) تدلّ نتائج هذه الدراسة على أنّ الشاعر كان في البداية مستغرقاً في رومانسيته المتشائمة ثمّ تغيّرت رؤيته الشعرية تغييراً جذرياً فتطور شعره من الرومانسية إلى الواقعية الاجتماعية.

-ودراسة أخرى لنعيم عموري، عنوانها "كاوشى بر بن مايه هاى ادبيات پايدارى در شعر محمد الفيتورى و مهدى اخوان ثالث بر اساس مكتب سلافى" (مجله انجمن ايرانى زبان و ادبيات عربى، شماره ٣٦)، هذا المقال بواسطة المدرسة السلافية، يسعى إلى دراسة وبحث مضامين المقاومة في شعر هذين الشاعرين وذلك بنظرة سوسيولوجية وعلى ضوء حوادث الحياة والظروف السياسية والاجتماعية السائدة في زمن هذين الشاعرين.

-ومقالة "واكاوى رمانتيسم جامعه‌گرا در اشعار هوشنگ ابتهاج ومحمد الفيتورى"، لأميرحسين رسولنيا ومريم آقاجاني، تمّ نشره في (نشريه ادبيات تطبيقى، دانشگاه شهيد باهنر كرمان، شماره ٦) بالنظر إلى هذه المقالة يمكننا القول أنّ رغم مشاهدة لمسات

الرومنتيكية الفردية في آثار هذين الشاعرين إلّا أنّ الفكر والمضمون الاجتماعي لهذه الأشعار يسوقهما نحو واد الرومنتيكية الاجتماعية.

-ودراسة تحت عنوان "سيميائية شخصية يوسف (ع) القرآنية: قراءة بنيوية سيميوطيقية"، لـــ طاهري‌نيا والآخرين، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، العدد ٢٤. ١٣٩٥. إنّ هذه الدراسة تشير إلى شخصية يوسف (ع) في القرآن الكريم لكي تكشف عن المفاهيم والدلالات الخفية فيها، وأثبتت أنّه يوجد تناسق بين اسم يوسف (ع) والألقاب التي يحملها و بين أدواره في القصة القرآنية.

-ودراسة لـــ صافية فرطاس والآخرين تحت عنوان "سيميائية الشخصية في رواية "تصريح بضياع" لـــ سمير قسيمي"، سنة ٢٠١٨. لقد أبدع الروائي في وصف ملامح الشخصيات فكأنّه كان رساماً يرسم ويدقّق في التصوير، وكذلك وصف بعض الشخصيات ملامحهم بطريقة فيها نوع من السخرية مما يدل على أنّ الراوي أضاف على الرواية نوعاً من التشويق لجذب القارىء. ولا يذكر الراوي اسم البطل عكس الشخصيات الأخرى، وهذا ما يحمل دلالة على الضياع وفقدان الهوية.

في حدود ما بحثنا عنه لم نجد دراسة عن سيميائية الشخصيات في شعر الفيتوري، وما يهمّنا في هذا البحث هو كيفية توظيف هذه الشخصيات ودراستها وتحليلها، ليتمّ الكشف عن أهم الدلالات السيميائية التي يقصدها الشاعر من خلال هذه الشخصيات.

٢.السيميائية

إنّ الإشارة من المنظور السيميائي هي وحدة ذات معنى تُفسّر على أنّها تنوب عن الآخر. وتأخذ شكل الكلمات والصور والأصوات والإيماءات والأشياء والأفعال. (تشاندلر، ٢٠٠٨م: ٤٣٤) إنّ الدارسين العرب فهم يعتبرون السيميائيات منهجاً يساعد على فهم النصوص وتأويلها وبعضهم استخدموا مصطلح السيمياء ومنهم من استخدم مصطلح علم العلامات والبعض منهم استخدم مصطلح السيميولوجيا واستعمل فريق آخر مصطلح السيميوطيقا. (رحمين، ٢٠١٢م: ١٩) يرى الفيلسوف الأمريكي ساندرس بيرس Charles Sanders Peirce أنّ السيميوطيقا أو علم العلامات علم يشمل جميع أنظمة التواصل على اختلاف حقولها المعرفيّة ويشمل جميع الأشياء والموضوعات الطبيعيّة والإنسانيّة كالرياضيّات، وعلم الأدب وعلم النفس و... (شيحة، ٢٠١٦م: ٣٥) «تنظر السيميائية إلى كل موجودات الكون على أنّها علامة، وكل علامة تحمل دلالات ورموزاً مختلفة تتغيّر بتغيّر السياقات والمواقف و بالتالي تُفهم بطرق متعدّدة» (بوزقزي والآخرون، ٢٠١٥م: ١٣) إنّ «السيميائية تفتح آفاقاً جديدة أمام المتلقّي إذ تعمل على تنمية حسه النقدي وتوسيع دائرة اهتماماته، وتساعده على البحث والتعامل مع الظواهر الأدبية أو الاجتماعية أو الثقافية، فينظر إليها بعمق أكبر ويلج عن طريقها إلى البنى العميقة للنص.» (رحمين، ٢٠١٢م: ١٣) سيميائيات اللغة «درست النصوص الأدبية واللغات والنصوص العادية ولعب الدال والمدلول فيها دوراً بارزاً وتعدّت اللسانيات إلى باقي الرموز اللغويّة مؤولة إياها حسب العرف وحسب السياق الثقافي» (الأحمر، ٢٠١٠م: ٧٣)

إنّ الرمز مفتاح لفهم طبيعة الإنسان وأسراره الخفية، من خلال اهتمامه بالأشكال اللغوية التي تمثّل وسيطاً رمزياً يواجه به الإنسان الكون وما حوله. يقرّب رولان بارت Roland Barth مصطلح الرمز إلى مجموعة من المعطيات اللغوية المتجاورة والمتغايرة في الحين ذاته، وهي: العلامة، وإشارة وقرينة. (مغراوي، ٢٠١٤م: ١١٤-١١٥) إنّ مفهوم «الرمز أو الشيفرة أساسي في السيميائية. ومع أنّ سوسور Ferdinand de Saussure تطرّق فقط إلى مجمل الشيفرة اللغوية، فلقد شدّد أيضاً على أنّ الإشارات لا معنى لها منفردة ولا تحمل معنى إلّا عندما تفسَّر من حيث علاقتها بعضها ببعض وأكّد جاكبسون Jacobson على أنّ إنتاج النصوص وتفسيرها يعتمد على شيفرات. يسعى السيميائيون إلى الكشف عن قواعد الشيفرات أو اصطلاحاتها والتي تكمن وراء إنتاج المعاني في تلك الثقافة.» (تشاندلر، ٢٠٠٨م: ٢٥١-٢٥٣) «الشخصية بوصفها دالاً تتّخذ عدّة صفات تلخّص هويتها كما يقرّر "فيليب هامون" Philip Hamon. فالأسماء إشارات سيميائية دالة على جوهر الشخصيات، بحيث تسهم في تعميق وجودها الفني». (العيد، ٢٠١٨: ١٩٧) «فقد خضعت الدراسات الأدبية المرتبطة بالشخصية إلى تحولات عميقة منذ أرسطو وعبر الفترات التي أعقبته من تاريخ الأدب، بحيث أصبح من الصعب التعرّف على مفهوم الشخصية، هذا المفهوم لا يمكن أن يكون مستقلاً عن مفهوم العام للشخص والذات والفرد». (بوداب، ٢٠١٥: ٢٨-٢٩) «الشخصية كائن له سمات إنسانية ومنخرط في أفعال إنسانية وملتزم بأحداث بشرية، وممثّل متسم بصفات بشرية». (المصدر نفسه: ٣٤) الشخصية محور الصفات والإيدئولوجيات والأفعال والتصرفات ولأعمالها وأدوارها مكانة في النص. من حيث مدلول الشخصيات نجد تعدداً وتنوعاً في تقديمها حسب تنوّع أغراض شعر الفيتوري. فهو في الأغلب يقدّمها بشكل مباشر ويتحدّث عن سماتها وأوصافها. فيتجلّى بعض الشخصيات التي تتضمن معان متعددة، منها ما هو سياسي ومنها ما هو تراثي ومنها الأدبي. إذا أمعنا النظر في شعر الفيتوري المقاوم نرى أنّه قد وظّف شخصيات كثيرة تعددت أدوارها في المجتمع العربي واستخدمها في شعره لإضاءة ما تعرّضت له من قسوة المعيشة والآلام والمعاناة الاجتماعية.

٣. محمد الفيتوري سيرته الذاتية والأدبية

ولد محمد الفيتوري سنة ١٩٣٠م في السودان ثم انتقل إلى القاهرة ودرس في الأزهر، وبدأ ينظم الشعر مقلّداً القدماء. تأثّر الفيتوري بالصوفية لأنّ والده كان من رجالاتها فسيطرت الغربة والوحدة على حياة الشاعر كما ظهر أثرها في أشعاره. (جحا، ١٩٩٩: ٤٤٥).كان الفيتوري زنجي الجدّ، وكان انتماؤه للجنس الأسود يقيم بينه وبين مدينة تعيش فيها الأقلية الأوربية البيضاء حاجزاً كثيفاً وهذا يحرمه المشاركة ويؤجّج في باطنه الحزن والحقد والغضب وهكذا يشعر بالاضطهاد ويعيش المأساة. (الطّباع، ٢٠٠٦: ٢٤٩) كان الشاعر منذ صغره يشعر بالظلم وذلك يعود إلى سواد لونه وقبح منظره، وشعر أنّ اللون كان سبباً في عزلته وكان يعيب عليه الكثيرون بأنّه الزنجي الأسود. (الساعدي، ١٤٢٠: ٣٣٤) له عدة دواوين شعرية ومنها: "أغاني إفريقيا" و"عاشق من إفريقيا" و"اذكريني يا إفريقيا" و"سقوط دبشليم" و"معزوفة لدرويش متجوّل" و"البطل والثورة والمشنقة"و...(صالح، ١٩٨٤: ١٢٥) يقول الناقد المصري "محمود أمين العالم" في مقدمة ديوان "أغاني أفريقيا": «إنّ هذا الديوان خفقات قلب رقيق جديد، والفيتوري شاعر في مقدمة شعراء

المدرسة الواقعية من حيث القدرة والصناعة، ومن حيث دقّة الشعور، وانتظام الصورة، وله مستقبل. وليس المهم أن يكون للكاتب أو للشاعر ماضٍ يجلس عليه، بل المهم أن يكون له مستقبل يرتقي إليه» (جحا، ١٩٩٩: ٤٤٧) وذات يوم سألوه من أنت؟ قدّم نفسه فقال: «عبء ثقيل أن أتحدّث أنا عن نفسي. يصمت قليلاً ثم أردف: قولوا لمن لا يعرفني، إنّه شاعر ليبي، الأرض التي ينتمي إليها هي إفريقيا، والأمة التي يعيش فيها هي الإنسانية واللغة التي يتحدّث بها هي الشعر، والراية التي تظلّله هي الثورة، والسلاح الذي يستخدمه هو سلاح الحقيقة» (صالح، ١٩٨٤: ١٤٤)

يعرّف الشاعر نفسه في قصيدة تحمل عنوان "أنا زنجي" تعريفاً صادقاً ويتكلّم بصراحة ولا يخشى التكلّم عن سماته الظاهرية، فهو يصوّر واقع حياته وتجاربه التي عاشها طول السنوات الماضية ويفتخر بلونه وبعرقه الأسود في العالم. إنّ الفيتوري يقول لنفسه: قل في وجه الناس دون أي خوف ووجل إنّني زنجي وبشرتي سوداء وأنتمي إلى الجنس الأسود، إنّ إفريقيا أرض أجدادي وآبائي وأفتخر بها دائما، فعاشت أرضي إفريقيا. إنّ الشاعر في هذا الكلام يتغنّى بالحرية وهي أعلى ثروة له وقد كان يؤمن في عمقه بحريّة السود، ويقول إن الاستعمار جعل الرجل الأبيض يتحكّم بالقارة الإفريقية والشعوب المظلومة والأبيض هو الذي حقر روحانية هذه القارة ووطئ إنسانيتها، ودنّس الأجنبي المعتدي بلادي إفريقيا:

«قُلها لا تجبن.. لا تجبن! / قُلها في وَجه البشريهْ.. /أنا زَنجي.. / وأبي زَنجي الجَدّ. / وأُمي زَنجيهْ.. / أنا أسوَد.. / أسود لكنّي حُرٌّ أمتَلكُ الحُريهْ/ أرضي إفريقيه.. / عاشَت أرضي.. / عاشَت إفريقيه! / أرضي..والأبيضُ دَنّسَها/ دَنَّسَها المُحتَلُّ العادي..» (الفيتوري، ١٩٧٩: ٨٠-٨١)

لا يقصد الشاعر التعريف بنفسه فقط، بل يريد إزالة الستار عن الواقع المرير الذي قد مشى عبر التاريخ، فهو يرسم بشكل مؤثر تصوير الظلم والتمييز العنصري، وفقد العدالة في حق المجتمع الإنساني عامّة وعلى وجه الخصوص طبقة السود، ويدعو المخاطب إلى التدقيق في نظرته العميقة. فنرى أنّ الشاعر يبحث عن شيء مفقود ويكشف عن حقيقة ضاعت في المجتمع وهي كرامة إنسانية للإفريقي، وكلماته مشحونة بالشجون والأحزان والمآسي، فيقصد تحطيم الفوارق بين الألوان والأجناس وتوعية المجتمع. ونرى أنّ هذا الشعر قد أخذ لوناً وطابعاً ثوريّاً.

ونرى في هذه القصيدة أصواتاً انفجارية ترافق انفعالات الشاعر وحالاته النفسية فتبدأ القصيدة بالقاف ولها موسيقى قوية وعنيفة ثم تكرّر الهمزة كما نراها في مقاطع من هذه القصيدة (أنا، أبي، أمي، أسود، أمتلك، أرضي، أبيض) فتبرز لنا مدى شعوره بالكبت والظلم والغضب وذلك بروح ملحمية ملتهبة (منصوري، ٢٠١٠: ٧٠-٧١)

٤. الدعوة إلى الثورة في شعر الفيتوري

«الفيتوري هو رافد الحرية ويقف إلى جانب الشعوب المقهورة ويستحثّها على الثورة والتحرر. وكذلك نجده يدافع عن حرية الإنسان وحق الشعوب في العيش الكريم وهو يستلهم شعره من انتفاضة الشعوب المقهورة» (جحا، ١٩٩٩: ٤٥١) فإنّ الدعوة إلى

الثورة تعتبر من أهم ملامح المقاومة في شعر الفيتوري. وصرخة الشاعر لليقظة تقترن دائما بندائه للحرية ومحاربة الاستعمار والوقوف في وجه الظالمين والمستكبرين فهو يرينا بأنّه قد تأثّر أشدّ التأثر بواقع مجتمعه وهو يشتكي ويحتجّ من الظروف الصعبة والأجواء الخانقة التي تحكم مجتمعه وذلك بنظرة عميقة وواقعية. فيقوم الفيتوري بمخاطبة بلده وجميع الأحداث الكثيرة التي حدثت فيه، فهو يقوم بتوعية شعبه لها ويصوّر انزجاره واحتجاجه بالنسبة إلى الأحداث التي ألمت بشعبه.كما نشاهده في الأشعار التالية، حيث خرج الشاعر عن إرادته وهدوئه وانطلق يخاطب إفريقيا باسمها الصريح طالباً منها أن تستيقظ وأن لا تكون خاضعة أمام المستعمرين، فيريد الشاعر من وطنه أن يستفيق من نومه وينتبه بما يدور حوله، ويخاطب وطنه ككيان حي ويقول بلغة جارحة وحادة: يا إفريقيا ألم يحن وقت الثورة واليقظة من نوم الغفلة حتى الآن؟ ألم يحن الوقت أن تدركي الواقع الأليم الذي يحكم المجتمع عن كثب؟، يا إفريقيا استيقظي، قد ظلّل عليك الظلم والدجى وقد حدثت فيك أحداث مريرة ونراك صامتة أمام الأحداث، يا إفريقيا كم استلقيت في كوخ الدجى:

«إفريقيا.. / إفريقيا استيقظِي.. /استيقظي مِنْ حُلْمك الأَسوَدِ/ قَدْ طالما نِمتِ..ألم تَسأَمِي؟/...قَدْ طالمَا اسْتَلقَيتِ تَحتَ الدُّجَى/ مُجْهَدَةً /... / في كُوخكِ المُجْهَدِ/ إفريقيا.. / إفريقيا استيقظي/ استيقظي مِن ذاتك المُظلِمةْ /كَمْ دارَتِ الأَرضُ حَواليك.» (الفيتوري، ١٩٧٩، ج١: ٦١-٦٢)

«إنّ هاجسه إفريقيا والأبيض الذي أذلّها واستغلّها فشعره يعبق برائحة إفريقيا وباللون الأسود، وهو الشاعر العربي الأول الذي يتناول في شعره مأساة الإنسان الزنجي الأسود. وهو يريد من إفريقيا أن تستيقظ، أن تحطّم القيود وتتحرر» (جحى، ١٩٩٩: ٤٤٩)إنّ لكلمة "استيقظي" صدى العذاب والمرارة التي تعذّب قلب الشاعر فقد ملأت وجدان الشاعر بشكل كامل، وهي في الواقع صرخة في سبيل توعية ويقظة وجدان إفريقيا بالنسبة للأحداث التي قد جرت فيها باستمرار. ولا يهدف الشاعر إلا إلى السعي لنيل الحرية، ومكافحة الاستعمار والصمود أمام الظلمة فيصوّر عبر استخدامه لهذه الألفاظ وبيان بسيط قوي، تمرّده وثورته ضد الظلم. واستخدم الشاعر كلمة "استيقظي" أربع مرات وكلمة "إفريقيا أربع مرات أيضا ليصوّر كيف أنّ قضيّة الوطن من أهم المخاوف الفكرية عند الشاعر، إنّ إفريقيا قد برزت في مقدمة أحزان الشاعر وآلامه وكأنّها جزء لا يتجزأ من كيان الشاعر، ولا يقدر تحت أي ظرف من الظروف أن يبقى في منأى عن مأساة القارة الإفريقية من مأسي التفرقة العنصرية والظلم والاستعمار الأجنبي.

«إنّ الفيتوري شاعر له شخصيته المتميزة وطابعه الخاص وأسلوبه الذي يتفرّد به. له رؤياه السياسية وصوته الرافض ومناصرته لقضايا جماهير الشعب العربي. لا يتعمد الغموض والإبهام، بل إنّه يرى أنّ الشعر ليس هدفه أن يصوّر الأشياء أو ينقل الطبيعة، بل عليه أن يكون أداة فضح وتحريض وثورة وتحدٍّ». (جحا، ١٩٩٩: ٤٥٥) لذلك يولي اهتماما كبيرا بقضية الشعب الإفريقي والعربي. إنّ محنة الشعب الإفريقي هي محنة الشاعر الفيتوري وهي من أكبر الأحداث التي هزّت الضمير الإنساني. فيصوّر لنا الشاعر أنّه لم

يعد يقدر بعد الآن على مشاهدة هذه المصائب التي تحلّ بالناس في أرضه ويُظهر لنا غضبه وحزنه من جراء هذا الأمر ويخاطب وطنه بلهجة مليئة بالغضب والثورة قائلاً: يا أرض أجدادي، هل تسمعين صرختي التي يرافقها الألم والصعاب:

«واعجباً ألم تُفَجِّرْ شرايينك سخرياتُهم.. / يا أمَه! /... / إفريقيا النائيه / يا وطني.. يا أرضَ أجداديه /إنّي أناديك.. / ألم تسمعي صراخَ آلامي وأحقاديه! / إنّي أناديك.. /أنادي دمي فيك.. / أنادي أمتي العاريهْ.. /إنّي أنادي الأوجهَ الباليهْ/ والأعينَ الراكده..الكابيهْ..» (الفيتوري، ١٩٧٩، ج١: ٦٣-٦٥)

إنّ المواقف الوطنية ابتدأت بمحبة الوطن، والحنين إليه ازدادت في القرن التاسع عشر، وأنّ الاعتزاز بالوطن عادة يجعل الإنسان ينصر الوطن وقضاياه (الخازن، ١٩٩٢: ٤٢١) فقد أدرك الفيتوري أنّ القضية الوطنية هي جزء من النضال العربي الذي تهتمّ به الأمم في مواجهة الاستعمار والقوات المحتلين.

فالشاعر السوداني يألف المكان الذي يعيش فيه ويحزن أعمق الحزن على فراقه ويهتف بحبه وحنينه إليه ومازال يصرخ للحرية ويطالب الشعب بالتحرير والرفض. وهذا هو حال الشاعر الملتزم الذي يحبّ وطنه ويتغنّى به. (بقاعي، ١٩٩٤: ٥٧) إنّ الشاعر يتكلّم عبر نظرة متناقضة مع وطنه من منطلقين، فمن جانب يحرّض شعبه على النهضة ويحثّهم للثورة، وهذا يصوّر لنا مدى حبّ الشاعر لوطنه. ومن جانب آخر وبالرغم من أنّ الشاعر يحبّ وطنه حباً ذاتياً وداخلياً إلا أنّه يغضب على وطنه بحجة أنها لا تُظهر حركة ونهضة تجاه الظلم والعدوان الذين أصيب بهما فقد بقيت في نوم وغفلة ولكن بصفة عامة نشهد علاقة وثيقة وعميقة بين الشاعر وأرضه.

وهو يخاطب الوجدان الإفريقي الجريح ويقول: فاستمعي لي يا إفريقيا، الآن قد جاء دورنا ولينتفض تاريخنا العريق وعلينا أن نعلن حقدنا أمام الأعداء وعلى الأرض أن تخضع لصراخ الشعب. إنّنا سنكسو الأرض بالفرح الكبير كما كسوناها بالحزن الشديد، ونحن يجب علينا أن نصنع من غضبنا وثورتنا تمثالاً في المجتمع والآن قد حان دورنا أن نقاوم ونُظهر غضبنا:

«لتَنتفِض جثةُ تاريخِنا.. /ولينصبْ تمثالُ أحقادِنا /... /ولتَخشَعِ الأرضُ لِأصواتِنا.. /إنّا سَنكسوهَا بأَفراحِنا.. /كَما كَسَوناهَا بأحزانِنا / أجلْ..فإنّا قَد أتَى دَورُنا /إفريقيا /إنّا أتَى دورُنا..!» (الفيتوري، ١٩٧٩، ج١: ٦٥-٦٦)

إنّ الفيتوري يقف إلى جانب شعبه ويحثّهم على الثورة والمقاومة، إنّه ناقم وثائر على ذلة الأمة العربية وهوانها الذي أصيبت به فيتأثّر الشاعر بواقع شعبه ويحزن أعمق الحزن ويحاول أن يدافع عن قضايا جماهير العالم العربي. ويرى الفيتوري أنّ أرضه قد ابتعدت عن حقوقها ومسؤولياتها الاجتماعية وقد غابت عنها العدالة والحرية و... والشعب الإفريقي الذي كان في الماضي ذا ثقافة غنية وأصيلة فقد أصبح الآن ومن جرّاء التحولات التأريخية والسياسية والاجتماعية أصبح من ضمن الدول المتخلّفة فقرّر الشاعر أن يرسم لنا بشعره الواقعي حزنه ومأساته، ويقوم بإحياء وخلق القيم التي فقدت في مجتمعه.

ومن الملامح التي يمكننا أن نتعرف من خلالها على مدى وطنية الشاعر وحبه للوطن هو حزنه العميق بالنسبة إلى الأوضاع المأساوية والظروف المرة التي تعاني منها البلاد. و إذا ما دقّقنا في أشعاره نفهم أنّ عاطفة الحماسة والحزن تسيطر على الشاعر، كما أنّنا نشهد بوضوح العاطفة الوطنية في أشعاره، والشاعر يبيّن عواطفه ومشاعره تجاه قضايا وطنه بصدق و إخلاص.

٥. استدعاء الشخصيات الثورية

٥. ١. الشخصيات السياسية

عندما يشتدّ الطغيان والقهر السياسي في أمة من الأمم، فيكبل حريّات الشعب و يفرض على أصحاب الكلمة من أدباء ومفكّرين ستارا من الصّمت، فهم يلجأون إلى وسائلهم الفنية للتعبير عن أفكارهم وخواطرهم بطريقة غير مباشرة وتكون آراء هؤلاء مقاومة للظلم والقهر والاستبداد، ومن الأساليب التي لجأ إليها الأدباء على مدى العصور هي الأسطورة والرمز، وقد وجد الشعراء ضالتهم في تلك الأصوات التراثية التي ارتفعت في وجه الطغيان وقوى الظلام. (عشري زايد، ١٩٩٧: ٣٢-٣٣) والفيتوري من الشعراء الذين تحدّثوا في دواوينهم الشعرية عن الشخصيات التي تمثّل قضايا سياسية، من أشهرهم شخصية الإمام الخميني (ره)، ونيلسون مانديلا، وهذه الشخصيات المتميزة ارتبطت بقضايا سياسية في رؤية الشعراء المعاصرين فيوظّف الشاعر هذه الشخصيات الثورية لتبيين الكبت السياسي القائم في البلدان العربية و يصوّر من خلالها ما حدث في المجتمع من ظلم وفساد وحرمان، و يمجّد الشاعر كفاحها وصمودها و يتغنّى بها أمام القوى الظالمة.

٥ . ١ . ١. الإمام الخميني (ره)

إنّ مفهوم الشخصية من منظور "فيليب هامون" السيميولوجي لا يقف عند التركيب اللغوي الذي يقوم به النص، بل تتجسّد الشخصية عنده من خلال المحيط الذي تنتمي إليه وتقوم بمختلف وظائفها فيه. (بوداب، ٢٠١٥: ٥٩) إنّ هذه الشخصية التي ظهرت في شعر الفيتوري لها أدوار ووظائف متعددة، وهي رمز للجوانب السياسية والدينية والتاريخية. وكذلك هي رمز للمقاومة، والمطالبة بالحرية ومحاربة الظلم، الإمام الخميني (ره) الذي بإقامته للثورة الإسلامية و إسقاط النظام الملكي في إيران أضاف ورقة ذهبية إلى تأريخ العالم بحيث إنّ هذه الثورة هي مبدأ الوحدة والنهضة لكثير من مسلمي العالم، وقد صار هذا الرجل العظيم في التأريخ نموذجاً ومثالاً يحتذى به. الإمام الخميني (ره) من الشخصيات التي نرى له ظهوراً ذا بال في شعر بعض الشعراء المعاصرين فهم يذكرونه بكلّ خير وحسن. ولم يغفل الفيتوري عن الأساطير الإفريقية فحسب، بل لم يكن غافلاً عن أساطير العالم وسائر الشعوب، فهو يمدح شجاعتهم و يصوّر لنا ثقافات مختلفة في أشعاره. و يرى الشاعر أنّ الإمام الخميني (ره) القائد الثوري رمز للبطولة والذي يحمل معه مفاهيم كالانتصار والطمأنينة:

«وَالخُمينيُّ يَكنِسُ مَملكةَ الشّاه/ عَبرَ مَياه الخَليجْ/ ويَفتَحُ عينينِ مُصْفرَّتَينِ ومَجروحَتَينِ /كمثل عُيُونِ المَلَايينْ/ ثمّ يُجفِّفُ دَمعَهُمَا في سَتَائِرِ إيرانْ/ وَالعَرَقُ البشَريُّ المُقدَّسُ/ يَركُضُ في الأرضِ مُختَلِطاً بالأسى والنَّشيجْ!/ لمْ يَكُنْ وَحدَه آيةَ الشَّعبْ/ كان يُصوّغُ نَهاراً لأحلامِهِ/ ويُحرّك عَصراً مِنَ العُقمِ وَاقِفْ». (الفيتوري، ١٩٩٢: ١٤٥)

ومن ملامح المقاومة التي نراها بوفرة في أشعار الفيتوري هو أمله بالمستقبل الزاهر و إيمانه القلبي بالنسبة إلى تحسّن أحوال المجتمع، وتقوية روح الأمل تبعث بدورها المقاومة من قبل الناس في المجتمع، وكلمة "الحديقة" في هذا الشعر رمز لبلاد إيران الخريفية، الأرض التي وقعت بأيدي الأجانب. والإمام الخميني (ره) عبر نظرته المستقبلية والوعي الذي كان لديه بالنسبة إلى الأوضاع وواقع المجتمع كان يعرف بوضوح أنّ بلاد إيران ستتحرر يوماً ما من يد الأعداء:

«أيّتُها المُدُنُ الأثَريّةُ/ هَل عَلِمَ الرَّجُلُ المتحدِّرُ/ تحتَ غُصُونِ الصَّنَوبر/ أنَّ الحَديقَةَ راحِلةٌ في الطحالبِ يوماً». (المصدر نفسه: ١٤٦)

و يصوّر الفيتوري الإمام (ره) كرمز للإيمان والمثابرة والتحدّي، وهو كان يحمل في وجوده إيمانا راسخا بالحرية والاستقلال. إنّ ترسيم صورة الأعداء وتقبيحها يعدّ إحدى علامات محاربة الظلم، وكلمة "الطحالب" ترمز إلى أعداء الوطن والظالمين، فالشاعر عبر ذكره لهذه الكلمة قصد أن يُبعد القيم الإنسانية عن هذا الفريق. ويقول الفيتوري بصراحة في قصيدة أخرى:

«وَهَل كان شاه المَدينةِ/ يَعلَمُ أنَّ حُلُوقَ العَصافيرِ/ مَسكُونَةٌ بالرَّمادْ؟/ وأنَّ تُرابَ البِلادِ التي يَبِسَتْ/ في جَفَافِ اسمه/ كانَ يَحمِلُ في نَبضِهِ بِذرَةَ الاضطِهَادْ!» (المصدر نفسه: ١٤٧)

إنّ ألفاظ (الحديقة والعصافير والتراب و...) هنا تتجلّى بدلالات مغايرة و يوظّفها الشاعر لخدمة قضايا وطنية و إنسانية. إنّ هذه الرموز الطبيعية تتباين من شاعر إلى شاعر آخر وفقاً لمكوّناته الثقافية والحياتية والجغرافية. فمفردة "العصافير" هنا رمزٌ للمناضلين والثوريين في إيران، و"الرماد" رمز للظلمة والكبت الذي تمّ تحميله على الشعب الإيراني. و"التراب" أيضاً رمز المجاهدين الذين قد امتلأ وجودهم من ظلم النظام الحاكم والتعذيب والطغيان. فقد كان النظام الملكي متيقناً بأنّ هذا الشعب- على الرغم من ظاهره الهادئ-سينهض لامحالة ويقيم ثورة في أية لحظة. ويعتقد الفيتوري أنّ الإمام الخميني (ره) كان يعلم أنّ انتصار الثورة وسقوط النظام الحاكم أمرٌ حتمي وسيحلّ الأمن والطمأنينة على هذه الممكلة عن قريب. والإمام (ره) بوعيه الكامل بالنسبة إلى ظروف المجتمع يصّور مستقبلاً زاهراً للشعب الإيراني. ويواصل الشاعر كلامه محذّرا الأعداء من سكوت المجاهدين في إيران، فهم من الممكن أن ينهضوا في كلّ لحظة، ويصرخ بأن احذروا غضب الناس في هذه الأرض.

فالأمل بالنسبة إلى المستقبل المشرق ونهاية عصر الظلم والاستبداد وتحسّن أحوال المجتمع من المظاهر الأخرى للأدب المقاوم والذي تجلّى في شعر الشاعر:

«وَهَل عَلِمَ الرَّجُلُ المُتحدِّرُ تَحتَ الصِّنَوبَرْ/ أنَّ كآبةَ هَذَا الزَّمان/ سَتَهبِطُ عَن عَرشِها ذاتَ يَومْ». (المصدر نفسه: ١٤٧)

إنّ الإمام (ره) رغم المعاناة التي واجهها من ظلم النظام، لا يفقد أمله بل يبقى متفائلاً بالأيام الآتية كما يرى أنّ الشعب سينال الحرية في المستقبل القريب العاجل، ويصرّح بأنّ ظلم النظام الحاكم لن يدوم وسيزول يوماً ما ويسمع الشعب ألحان النصر. فهذه شخصية قد تكون ممثلة واحدة تقوم بأدوار مختلفة كما يمكن أن تكون ممثلة في الشخصية السياسية، ويمكن أن تمثل شخصية دينية، فهي تعطي مفهوماً ودلالة جديدة، وهي رمز لا يتحدّد معناه من خلال عمله السياسي.

٥. ١. ٢. نيلسون مانديلا

إنّ مانديلا من أبرز المناهضين لنظام التفرقة العنصرية في جنوب إفريقيا، وهو زعيم عصره ومن الشخصيات الفذة في القرن العشرين، إنّه قد قضى حوالي ثلاثة عقود من عمره في السجن برفقة سائر الزعماء السياسين في عصره، فهو دائما يُذكر في العالم كشخصية متميّزة لها شعبية كبيرة. فهو قد سخّر جلّ حياته في سبيل الحرية، ومحاربة الظلم والاستكبار، وكان يجتهد دائما في الدفاع عن حقوق الناس المهضومة والحدّ من مستوى المشاكل السياسية والاجتماعية في هذه القارة. (جباري، ١٣٩٠: ١٣)

وقد شهد التأريخ السياسي لإفريقيا الجنوبية تحولات جذرية عميقة، إحداها تسرّب الاستعمار بغية الاستيلاء على ثروات هذه القارة المظلومة والأخرى سياسة التبعيض العنصري الذي أوجدها المهاجرون والأوربيون البيض للنيل والحصول على نتائج أضخم. ولكن هذه السياسة تزامنت مع رفض الطبقات المختلفة. وكان نيلسون مانديلا أحد المعارضين الرئيسين لهذه السياسة وأدّت هذه المعارضة إلى سجنه، وهو بعد الإفراج عنه عاد مرة أخرى إلى نشاطاته السياسية واستمرّ يطلب السلام وحلّ مشاكل الناس، إلى أن تمّ إلغاء سياسة التبعيض العنصري وأصبح نيلسون مانديلا رئيساً للجمهورية في إفريقيا الجنوبية. إنّ الشعب الإفريقي واجه مشاكل عدة منها: الفصل العنصري بين الأقلية البيضاء وسكّان إفريقيا السود، وحرمان الجنس الأسود من حقوقهم ومن المساهمة في أمور الحياة، وهذا مما دفع مانديلا ليعمل جاهداً في الدفاع عن الإفريقيين السود وتخلّصهم من الظلم الذي يعيشون فيه.

يعتقد "رولان بارث" بأنّ الشخصية هويتها موزعة في النص عبر الأوصاف والخصائص التي تستند إلى اسم "علم" يتكرر ظهوره في النص. (أمال والآخرون، ٢٠١٦: ١٤) إنّ شخصية مانديلا من الرموز التي يقوم الشاعر باختيارها بدقة ويشبّه في قصيدة "إلى نيلسون مانديلا " صموده بشجرة آبنوس ثم يُبجّل عظمته برؤية فخرية لأنّ لولا وجوده لما كانت للشهادة عظمة ومجد. ويقول يا مانديلا أنا وقفت حائراً من شجاعتك في ساحة القتال لأنك تقاتل حتى النصر وتنتصر على الأعداء وتُحرز نجاحاً ساحقاً وعظيما. فمن ملامح الأدب المقاوم هو بيان القدرة كما نرى في هذه الأشعار، والهدف الأساس للشاعر هو تصوير قدرة مانديلا وعظمته أمام ضعف الأعداء وهوانهم. والشاعر في هذه الأشعار قد مزج آليات القدرة بنوع من التحقير والضعف، وهذا بدوره يُمثّلُ تهديداً للأعداء:

«يَا أَبنُوسَ الخَريفِ الجَنُوبيِّ /كَيفَ يَكُونُ جَلَالُ الشَّهادَةِ/ إنْ لَمْ تكنْ أنتَ!/... / أذهَلتَني في نِضَالك / تَدمَغُ أعنَاقَ مَن دَمَغُوكَ / وَتَسجنُ في العَصرِ مَن سَجَنُوك /وأنتَ سجينٌ هُنَالك / أغرَقتَني في اكتِمالك / مانديللا /مانديللا». (الفيتوري، ١٩٩٢: ٣٩)

يبيّن الفيتوري عبر استدعاء هذه الشخصية أهم أهدافه ألا وهي الحرية، فيرى أنّ الحرية ميراثه ومن ممتلكاته فهو يريد بهذه الوسيلة أن يبيّن قيمة الحرية للجميع. والحرية من منطلق فكرة الشاعر هي عامل أساس في خلود نضاله وهو يرى أنّ الحرية هي بداية حياته ونهايتها، والمقاومة هي الحل الوحيد للوصول إليها، فقد غلبت روح الحرية على نفسية الشاعر بصورة كاملة بحيث نرى أنّ الشاعر أطلق لسانه في تقديسها والتعريف عنها و يمكن أن نفهم ونبحث عن سبب أهمية الحرية عند الشاعر عن طريق الأوضاع السياسية والاجتماعية والوطنية الغير مناسبة في البلدان العربية. و يبدو أنّ عنصر الحرية في أشعار الفيتوري لا يضاهيه أي عنصر أخر من عناصر المقاومة، فيعدّ الفيتوري شاعراً ثورياً ينزع إلى الحرية بحيث يلحّ على ذلك و يبثّ في معظم أشعاره هذه الفكرة وهي من الأمنيات التي قام الشاعر ببثها في أشعاره النضالية. فالحرية هي إحدى المحاور الأساسية في أدب المقاومة والذي يحاول كل إنسان ملتزم وحرّ في سبيل تحقّقها والمحافظة عليها:

«مَانديللا/ -إنَّ حُرِّيَتِي هيَ مِيرَاثُ أرضِي/ وَمُعجِزَتِي/... /-إنَّ حُرِّيَتِي هِيَ حُرِّيَتِي/ في خُلُودِ نِضَالي/ وَفي عَبقَريَّةِ شَعبي/... /-إنَّ حُرِّيَتِي هِيَ بَدئِي وخَاتِمَتي/ وَهِيَ دينِي العَظيمُ وَرَبِّي». (المصدر نفسه، ٤١)

إنّ الحرية من أبرز مضامين المقاومة التي عالجها الفيتوري في منجزه الشعري، فنرى أنّ الشاعر قد جعل الحرية مدار أفكاره، لأنّ « الالتزام بالجوامع والمشتركات الوطنية ومقتضياتها، لا يتأتى إلا بالحرية التي تنعكس في السياق الوطني ومستوى التزام الجميع بالوحدة والاندماج الوطني» (محفوظ، ٢٠٠٥: ١٠٩) لا تصبح الحرية عند الشاعر مجرد نداء إنّما هي نضال يستمر ومقاومة بطولية تُحقق للإنسان وجوداً إنسانياً. فيبيّن الفيتوري احتجاجه على ظروف المجتمع الصعبة و يتحدث عن حق إنساني سلب عنه وعن مجتمعه. إنّ مانديلا من المناضلين الذين صرفوا عمرهم في سبيل تحقيق الآمال والأماني الوطنية وتحمّلوا في هذه المسيرة مصائب كثيرة وأعباء مختلفة، فيرى الفيتوري في أشعاره وجود مانديلا كنور يضيء الطريق للناس في هذه الأرض نحو الحرية، والنجاح والتخلّص من الظلم، و يريد منه أن يبقى مثل الماضي إلى جانب الناس بعظمته واقتداره السابق و يظلّ متكئاً على مجده وعظمته الدائمة. و يقول الفيتوري يا مانديلا أيها البطل المتمرِّن الذي قد تجاوز عمره ثمانين عاما، إنك اختفيت عن الأنظار وأزعجني سفري فيك، وأنا أعرف تماما أنك ضوء على زمننا فابق مكانك مثل الماضي:

«مانديللا/ أيُّهَا البَطلُ الشَّيخُ/ مُغتَسِلاً بِمياهِ الثَّمَانِين/ مُختَبِئاً في تَجَلِّيك/ أنهَكَنِي سَفَري فيك/ أَعرفُ أنك ضَوءٌ عَلى زَمَنِي/ هَكَذا أنتَ/ فامكثْ كَما أنتَ/ كُنْ هَكَذا خَالِداً في مَعَانِيك/ مُتّكِئاً فَوقَ مَجدِ الثَّمانِين/ وَابقَ مَكانك/ ابقَ مَكانك/ ابقَ مَكانَكْ». (الفيتوري، ١٩٩٢: ٤٤)

يؤكد الشاعر عبر تكراره لعبارة "ابق مكانك"، على ضرورة وجود مانديلا ، و يصوّر كيف أنّ الظلم والاستكبار قد ظلّل على الناس جميعاً، فعبر تكراره لهذه العبارة يدعو الناس إلى المقاومة والصمود والاستمرار ضد الظلم. فقد وظّف أسلوب التكرار في خدمة مضامين المقاومة وقد مزج هذا الأسلوب برموز المقاومة.

٥. ٢. الشخصيات التراثية

إنّ الشعراء المعاصرين أدركوا أنّ التراث مصدر هام يتوجب عليهم أن لا يستغنوا عنه. فكثيراً ما قام الشعراء باستدعاء الشخصيات التراثية في أشعارهم بغية توظيفها في بنية النص، بما تحمله من دلالات و إشارات تنمّي القدرة الإيحائية للقصيدة. فاستدعاء هذه الشخصيات من أبرز تقنيات اعتمدها الشعراء في قصائدهم، لتمنحها حمولة فكرية ووجدانية لا تخفى على المتلقي. (زايد، ١٩٩٧: ١٣) لابدّ أن نشير إلى أنّ توظيف الأعلام التراثية يتمتّع بحساسية خاصة لأنّ هذه الأعلام بطبيعتها «تحمل تداعيات معقدة، تربطها بقصص تاريخية أو أسطورية، وتثير قليلاً أو كثيراً إلى أبطال تنتمي إلى ثقافات متباعدة في الزمان والمكان». (مفتاح، ١٩٨٦: ٦٥) «إنّ الأديب المعاصر الذي يفقد اتصاله بتاريخ قومه، وتراث أمته، لا يصلح بحال ما أن يعبّر عن وجدانها المعاصر؛ لأنّ فقدان وعيه لشخصيتها يجعله أجنبياً عنها، غريباً عليها» (زايد، ١٩٩٧: ٤٢) والشخصيات التراثية لها دلالات شمولية باقية، والقابلة للتجدّد، والشاعر المعاصر يختار من شخصيات التاريخ ما يوافق طبيعة الأفكار والهموم التي يريد أن ينقلها إلى المتلّقي. (المصدر نفسه، ١٢٠) فالأبطال التاريخية/التراثية مثل صلاح الدين الأيوبي، والسلطان تاج الدين، وعبد الخالق محجوب من الشخصيات التي تحدّث عنها الفيتوري في أشعاره النضالية. ويمدح الفيتوري أبطال المعارك الذين يقفون في وجه الأعداء وظلمهم واستبدادهم في حق الشعب، والذين تحقّقت لهم انتصارات وفتوحات كثيرة ودافعوا عن الوطن من أجل الوصول إلى القيم والحريّة فنرى أنّ الشاعر يحاول من خلال هذه الشخصيات أن يعبّر عمّا كان يسود المجتمع العربي من ظلم وعذاب.

٥. ٢. ١. صلاح الدين الأيوبي

نرى أنّ الشخصيات الموظّفة في شعره ليست غريبة عن مجتمعه، فهي مستمدة من بيئة عربية وقد اختارها الشاعر ليحملها مجموعة من الدلالات والسمات، فكان اختياره لهذه الشخصية عن قصد بحيث يشير من خلالها إلى دلالات معينة.

إنّ الشاعر يمزج الشخصيات التراثية بمعاناة الإنسان في عصره فيتحدّث عن مأساة فلسطين ويعبّر عن الأعمال الوضيعة التي ارتكبها الأعداء على مدى التاريخ. فتركت هذه القضايا بصماتها وأثرها في نفس الشاعر، وإحدى الطرق التي اهتمّ بها الفيتوري للتعبير عن قضايا إنسانية واجتماعية هي استدعاء الأبطال والمناضلين وذلك لإنجاز رسالته الشعرية.

يعدّ صلاح الدين ذلك البطل المنتصر من أكثر الشخصيات التراثية شيوعاً في الشعر المعاصر. ويحاول الفيتوري عبر توظيف هذه الشخصية أن يبيّن الجرائم والأعمال التي ارتكبتها إسرائيل بحق الشعب، فيقول الشاعر بمخاطبة المقاتلين البواسل:

«أيُّها المُقاتِلون/... /اللهُ في كَرامةِ الأرضِ، وفي/ عَدالةِ الثأرِ. وفي الحُرّية/... /لا..لا تَقفوا/ إلا على هَيكَلِ إسرائيلَ/ لا..لا تَقفوا/ إلا عَلى مَقبرة المُحتلّ والدَخيل/... / تَذكّروا.. /إنّ الذين ذَبحوا أطفالَ دير ياسين/ وأَكَلوا أكبادَ أمَّهاتِهم../ وسَرقوا أرضَ صلاح الدين/ لو قَدَروا، فسوفَ يَرجعون/ لِيَذبَحوا ثانيةً أطفالَ دير ياسين/ ويَبقَروا بُطونَ أمَّهاتِهم ويَهدمُوا

قبرَ صلاحِ الدين / تذكَّروا ..وقاتِلوا/ وانتصِروا..وقاتِلُوا/ وقاتِلُوا/ لا تَقِفوا إلا على هَيكل إسرائيل». (الفيتوري، ١٩٧٩، ج٢: ٤٣٣-٤٣٧)

أحد المضامين الأساسية للأدب المقاوم هو الدعوة إلى المقاومة ضد إسرائيل والصمود أمامها، الذين يقتلون الأطفال الأبرياء ويتسببون في حدوث جروح كبيرة على قلوب الأمهات، وهذه صورة واحدة من صور مؤلمة يصبّها العدوّ الصهيوني على فلسطين. فهم نالوا من أرض صلاح الدين الذي يعتبر رمزاً للمجاهد الحقيقي فإنّهم إن تمكّنوا من الاستمرار في عملياتهم الإجرامية سيخلقون مجازر جديدة كلّ يوم. وصلاح الدين في هذه القصيدة رمز للشجاعة والمقاومة وقد صار نموذجاً ومثالاً يحتذى به عند الثوريين، فهو قد خلق ملاحم كثيرة في الحروب الصليبية. والفيتوري عبر استدعاء هذه الشخصية يقول للمناضلين بأن لا يقلعوا عن الدفاع والمقاومة، ويستمروا في المقاومة حتى الوصول إلى الهدف النهائي والانتصار، فيصوّر الشاعر في ثنايا هذه الأبيات كارثة بشرية، كارثة أليمة بالنسبة للشاعر وهذه المجازر والأعمال اللاإنسانية وهدم الأرض مما يزيد من عذاب الشاعر وآلامه أكثر فأكثر، فنرى أنّ الفيتوري يلجأ إلى بيان حزين لتصوير محاربة إسرائيل والحثّ على الصمود أمام الجنايات والأعمال الوضيعة التي يرتكبها الأعداء.

إنّ الفيتوري يحمل قضية فلسطين في وجدانه ولكن ليس باستطاعته فعل شيء سوى التعبير عما يجيش في نفسه من حزن وألم، فيختصر موقفه من القضية الفلسطينية بهذه العبارة: «**إنّ جُرحَ فلسطينَ ليستْ تُضمِّدُه الكلماتُ**» (المصدر نفسه، ٨٤)

يمكن أن نعرف من خلال دراستنا لهذه الأشعار أنّ الفيتوري يؤكد وبعناية على عنصر المقاومة، ودائما يسعى إلى إحياء روح المقاومة تجاه المستعمرين والمعتدين في قلوب الناس ويؤكد على إيمانه العميق بأنّ قدرة الناس في المجتمع ستنتصر على الظلمة.

٥. ٢. ٢. السلطان تاج الدين

إنّ استدعاء الشخصيات الإيجابية يؤدي إلى حفظ وتحكيم الهوية الوطنية،كما يشير الفيتوري في إحدى قصائده إلى السلطان تاج الدين إحدى الشخصيات التاريخية. إنّ الأدب الشعبي هو أدب المقاومة بما ينطوي عليه من بطولات جماعية وفردية مجهولة ضد الطغاة والمستبدين كبطولة السلطان تاج الدين وغيره من البطولات الشعبية العامية. «إنّ السلطان تاج الدين بطل شعبي قاد نضال قبائل المساليت المشهورة في غرب السودان، ضد القوات الفرنسية الغازية.. وسقط شهيداً في معركة النصر عام ١٩١٠م». (الفيتوري، ١٩٧٩، ج١: ٣٠٧) يتناول الشاعر هذه الشخصية لتبدو لنا حقيقة قابلة للتصديق فهو يقدّم لنا أبعاداً منها الاجتماعية: يتناول البعد الاجتماعي (السوسيولوجي) الظروف الاجتماعية التي ينشأ الشخص فيها والطبقة التي ينتمي إليها والعمل الذي يقوم به وعلاقته بالآخرين. (أمال والآخرون، ٢٠١٦: ٢٢-٢٣) فالشاعر من خلال هذه الشخصية استطاع أن يجسّد واقع حياته الاجتماعية وما يعانيه من الظلم والاستعمار وعدم الحرية. إنّه رائد النضال ضد فرنسا وإخراج الفرنسيين من أرض السودان فهو مايزال يمهّد الطريق للثوار وكان الهدف الأسمى لتاج الدين هو تحرير وطنه من السيطرة الفرنسية فشارك في حركات وطنية، وهو من رموز أطلق

الشاعر لسانه في مدحه، فهو يخاطب تاج الدين ويقول: قد وقف الأعداء مسلحين أمامك وهم يقصدون النيل منك. ويشير الشاعر إلى الإمكانيات المحدودة التي كانت في حَوزة يد السلطان تاج الدين وآلياته الدفاعية القليلة في محاربته للاستعمار، ولكن مع هذا فهو آمل في القدرة والانتصار وهو يشجّعه على الاستمرار في المقاومة لأنّ المستعمرين قد سلبوا عزة وطنه على مرّ الزمن، إنّ قوة الأعداء هي مجرد المدافع والقنابل والطائرات ولكن تكمن قوة الشعوب الضعيفة في إيمان أبنائها بحقهم، فمن هذا المنطلق يقول الشاعر في قصيدة "مقتك السلطان تاج الدين":

-«يا تاجَ الدينِ / الأَعداءُ أمامك..فارجع / لَهَبُ..وقذائفُ حمرٌ.. / وخُوذاتٌ تَلمَعُ /و الحَربةُ مَهما طَالَت / لَن تَهزمَ مَدفع /... /ها هم قدَّموا يا تاجَ الدين /فانشُر دَقاتِ طُبولِك ملء الغاب / حاربْهم بالظفر، وبالناب / طوبى للفارس /إنّ الحربَ اليوم شرفٌ /... /إنّ الموتَ اليوم شرفٌ / داسوا عزةَ أرضِك / هَتَكُوا حُرمة عِرضك / عاثوا ملء بلادِك غازين /... /فاضْرب..اضْرب..يا تاج الدين /اضْرب..اضْرب..اضْرب..» (الفيتوري، ١٩٧٩، ج١: ٣١٢-٣١٥)

إنّ تكرار كلمة "اضرب" يدلّ على عدم الخنوع والاستسلام أمام الظلم، وعدم الرضى بالنسبة إلى الظروف الحالية ويبدو أنّ الشاعر يؤكد على عنصر المقاومة وعدم التزلزل أمام الظالمين وكأنّ الشاعر يعلن عن عزمه على مواصلة الثورة، وذلك يؤدي إلى تحريض الناس على أخذ حقوقهم من الأعداء ودعوتهم إلى المقاومة ضدّهم. والطموح من ملامح المقاومة التي تؤدي إلى استمرار الجهود حتى الوصول إلى النجاح النهايي، والحل الأساسي عند الفيتوري يكمن في الصمود والمقاومة من أجل تحقيق أهداف الشعب من الحرية والاستقلال.

يدلّ هذا النص على مقولة المقاومة وهذه الألفاظ تنتمي إلى حقل المقاومة (الأعداء، لهب، قذائف حمر، خوذات، الحربة، مدفع، حارب، الظفر، الموت، عزة الأرض، بلاد و...) والتي هيّأت جوّاً نفسياً لتعميق مواقف الشاعر وآرائه الثورية وتضعنا أمام انفعالات الشاعر وتجاربه العميقة وواقع أمته، وتنقل الإحساس بالمرارة الممزوجة بالتحدّي للمتلقّي.

ويقول في مقتطفات أخرى من أشعاره: عندما قصدك الأعداء واستبقوا نحوك تقدّمتُ وأنت ناديت باسم أرضك وقلت: أيا بلادي، لن يبعدني عن حبك أي شيء، فأنت قد ملأت وجودي وقلتَ: يا دار مساليت، أنا سأظلُ حيّاً وأدافع عنك، وقد حلفتُ بأن أروي رمحي من دماء الأعداء وأن أقوم بصلبهم في الصحراء المقفرة أو في الفلوات وأن تجعل هؤلاء الموتى قدوة ومثالاً للأجيال القادمة. فأنت تحارب في سبيل حفظ الوطن بشجاعة وتُظهر لنا إقدامك وشجاعتك تجاه الأعداء بحيث يمكن أن نعتبره مثالاً وعظة للأجيال القادمة، فمقاومتك وشجاعتك مثلٌ للأجيال من بعدك، فيُبجّل الشاعر في هذه القصيدة شجاعة تاج الدين ومجاهداته لأنّه قدوة للمقاومة والإيثار وقد تحول إلى أسوة للناس جميعهم:

«أنّي أقبَلتُ / حينَ استبَقُوا نحوَك /باسمِ بلادِكَ نادَيتَ /«لن يحجبَني عَن حُبك شيءٌ» /«إنك مِلءُ دمايَ وعيني» / «يا دارَ مساليت أنا حيٌّ» /... /لكنك يا فارسُ آليتُ /أن لا تهبَ الكافرَ صَفحك أن تسقي مِن دَمهِ رُمحك / أن تَصلِبَهم عَبرَ الفَلَوات / أن تجعلَ موتاهَم مَثلاً / لزمانٍ عَبرَ زمانك آتٍ». (المصدر نفسه، ٣١٦-٣١٨)

إنّ الفيتوري من الشعراء الذين قد انضموا إلى ثوار بلده من خلال شعره وقلمه وقد قام بحمايتهم والدفاع عنهم، و يخاطب الشاعر في القصيدة نفسها تاج الدين الثائر السوداني: يا تاج الدين، قد بقيت خالداً إلى الأبد، يا تاج الدين قم بزوال أفكار الأعداء الواهية، والأعداء قد خبّؤوا أنفسهم وأيديهم راعشة والرصاص في مسدساتهم تزدحم للنيل منك وللتصو يب في جبهتك. يا تاج الدين يقصدك جميع الأعداء و يريدون الإطاحة بك:

«سَلَّمَتْ كفك يا تاج الدين /فاقضِ عَلى أَحلامِ الباقين /... /-يا تاج الدين /-يا تاج الدين /مازال عُداتك مُختبئين / أيديهم راعشةٌ ..ورَصاصُ بَنادقِهم /يَتزاحَمُ في بُطء نَحوَ جَبينك». (المصدر نفسه، ٣١٩-٣٢٠)

يبجّل الفيتوري و يمدح أولئك الذين قد ضحّوا بحياتهم من أجل الوصول إلى الأهداف السامية مثل الحرية والكرامة وحفظ الأرض فيرى الشاعر وجودهم مفيداً ومؤثراً للمجتمع الإنساني، و يصوّر الشاعر عبر مدحه لهذه الشخصيات والنماذج مدى أهمية المقاومة ضد الأعداء والمعتدين. ومن أكثر ما تكرر في شعر الفيتوري ذكر الحرية والتحدّي وأدوات الحرب والحديث عن التحرّر من الظلم والطغيان وغير ذلك مما يرتبط بالمقاومة والثورة والوقوف في وجه المستبدين، وهذا ليس بالأمر الغريب من رجل ثوري تأثّر بواقع أمته العربية.

٥. ٢. ٣. عبدالخالق محجوب

«إنّ الشخصية تضيف على النص الشعري دلالات عميقة وتشحن ذهن القارىء بأفكار مفيدة وتجعله يفهم النص أكثر و يعي مختلف العلاقات التي يحفل بها الشاعر أو الراوي كرموز أو إشارات». (بوداب، ٢٠١٥: ٩٥) فيقوم الشاعر هنا بتقديم المعلومات حول شخصية عبدالخالق و يعبّر عن أفعاله وسماته، إنّه من أبرز الشخصيات التي عرفتها السودان في العصر الحديث. فهو مع رفاقه قد حاولوا أن يجعلوا برنامجاً لحركة تحرّر وطني في بلد عربي و إفريقي وذلك تطابقاً مع ظروف بلدهم، وكانت هذه الحركات الوطنية تطالب باستقلال السودان بصفتيه القوميتين العربية الإفريقية، والحزب السوداني وليد لتلك الحركة الوطنية الاستقلالية و يهدف إلى تحقيق الحرية والتقدّم للشعب السوداني والنضال لتحرّر السودان وتعزيز استقلاله، ومرّ الحزب السوداني بقيادة القائد شبه الأسطوري عبدالخالق محجوب. (مروّة، ٢٠١٦)

ترتبط هذه الشخصية بنفوس الأمة ولها حضور حي ودائم في وجدان الشعب السوداني وهي مرتبطة بقيم روحية وفكرية ووجدانية، ومثال للبطولة والتضحية فلذلك يقول الفيتوري: إنّنا نأتيك بالفرح، ونستقبلك بالتّرحاب والحفاوة. إنّ مفردات كالمطر والغاب والنهر والعاصفة، هي تمثّل إرادة أبناء الشعب الذي رفض الهيمنة والاحتلال وناضل من أجل الحصول على الحرية والكرامة والسيادة على أرضه:

«حينَ يَأخذُك الصَّمتُ منَّا/فتَبدو بَعيداً.. /كأنّك رايةُ قافلةٍ غَرِقَت/ في الرَّمال/... / يا وجهَنَا المُختفي خَلفَ ألفِ سَحابة/في زَوايا الكُهُوفِ التي زَخرفتْها الكآبةْ/ ونُناديك.. /نغرسُ أصواتَنا شجراً صندلياً حواليك/ نركضُ خلف الجنائز

.. / نأتيك بالأوجه المطمئنة/ ... /بالمطرِ المتساقطِ في زمنِ القحطِ.. /بالغابِ، والنهرِ، والعاصفة!» (الفيتوري، ١٩٧٩، ج١: ٧١-٧٣)

و يتكلّم الفيتوري بلسان عبدالخالق و يقول:

«لا تَحفَروا لي قَبراً/سَأَصعَدُ مِشنَقَتي/ وسَأغلَقُ نافذةَ العَصرِ خَلفي/ وأغسَلُ بالدَّمِ رَأسي/وأقطَع كَفي.. /وأطبعُها نجمة فَوقَ واجهةِ العَصر/ وسَأبذرُ قَمحي للطَّيرِ والسابلة» (المصدر نفسه، ٧٦-٧٧)

مع أنّ عبدالخالق عارف بمستقبله ومصيره بشكل كامل لكنّه يدافع عن وطنه دفاعاً مستميتا، و يتحمل عناء المصائب بقلبه ودمه إلى درجة أنه يتمنى أن يضحّي بنفسه في سبيل الوصول إلى القيم الوطنية. إنّ الأفعال المضارعة مثل (سأصعد، سأغلق، أغسل، أقطع، أطبع) ترسم لنا أنّ المقاومة ستستمر وروح المقاومة قد ظلّت موجودة في خلده ووجوده. و يشير إلى أنّ حركة المقاومة والنضال لا تنتهي بانتصار أو هزيمة بل تستمر هذه الحركة بعد الهزيمة أو النكسة. و يقول في القصيدة نفسها:

«قَتَلوني.. /وأنكَرَني قاتِلي/ وهو يلتفُّ بردان في كفني/وأنا مَن؟/ سوى رجل واقف خارجَ الزَّمن/ كُلّما زيّفوا بَطلا/قُلتُ: قَلبي على وَطَني». (المصدر نفسه، ٧٧)

إنّ الأعداء عذّبوه بأبشع صورة ولكنه وقف في وجه الظلم والاستبداد ودافع عن وطنه دفاعا مستميتا، وناضل الأعداء حتى حصل على الحرية والاستقلال. إنّه يشارك في ساحة القتال و يحمل السلاح حيث أدى ذلك إلى استشهاده. إنّ "محجوب" واجه متاعب لا حصر لها لكنّه كان متمسكاً بوطنه، وهذا هو حال الشاعر الملتزم الذي يفتخر بوطنه و يحبه.

٥. ٣. الشخصيات الأدبية/ الشعراء الأقدمون والمعاصرون

«تكون شخصيات الشعراء من بين الشخصيات الأدبية هي الألصق بنفوس الشعراء ووجدانهم، لأنّها هي التي عانت التجربة الشعرية ومارست التعبير عنها وكانت هي ضمير عصرها وصوته، وهذه الشخصيات التي اهتمّ بها الشعراء هي تلك التي ارتبطت بقضايا معينة وأصبحت في التراث رمزاً لتلك القضايا، فأبرز الشخصيات التي استخدمها شعراءنا عنترة العبسي الشاعر والفارس العبد الذي كانت حريّته هي قضيته الأولى» (زايد، ١٩٩٧: ١٣٨-١٤١)

٥. ٣. ١.عنترة بن شدّاد

ارتفعت في أشعار شعرائنا المعاصرين أصوات أبطال كعنترة العبسي وغيره من تلك النماذج التراثية التي تحمل في وجودها العذاب والتمرّد على الواقع الفاسد. وتتحمّل عبء مأساة حياتها (المصدر نفسه، ٣٣) إنّه اشتهر بالفروسية والشهامة والتفوق في الحرب والقتال ونال حريته بشجاعته، وهو أحد أمثلة البطولة العربية في عهد ما قبل الإسلام وعلم من أعلام المقاومة والنضال والقوة

عند اشتعال نار الحرب. وهذه الصفات التي تميز بها عنترة جعلته أسطورة من الأساطير التي يتحدث عنها التاريخ وتعتز بها القرون. فيضرب المثل في نضاله ومقاومته.

إنّ الفيتورى يمدح العرب ويبجّلهم في بداية هذا الشعر ونهايته، إنّ الاعتزاز بماضي العرب وذكر مآثرهم وأمجادهم والحثّ على المقاومة من أبرز مظاهر اليقظة القومية في الأدب العربي الحديث، فالعرب على لسان شعراء النهضة وأدبائها إذا دعوا إلى مقاومة أو نادوا بالاتّحاد وجدوا في حوادث تاريخهم ما يوقظ الضمائر النائمة ويحيي الشعور بالعزة والكرامة (اليازجي، ١٩٨٥: ٦٠٩) إنّ الفيتوري جعل الماضي حافلا بأنواع من البطولة ويذكر العرب بما كان لهم من ماض مجيد لأنّ الحديث عن مجد العرب وأبطالهم من أبرز العوامل في تقوية روح الحماسة والمقاومةكما يقول الشاعر:

«نحن العرب.. / أجدادُنا كانوا مُلوك العَالمِ القديمِ / حَيثُ الرُؤى والشعرُ يَسبَحان / في مَجدِهما الأليمِ / حَيثُ الُخطَى المُستَكبرات.. / لم تَزلْ تَبتَعث الرَّعشةَ.. /في أقبيةِ الماضي العَظيمِ / عَنترةُ العَبسي فَوقَ صَهوةِ الفَرَس / يَصرُخُ في الشَّمسِ فيَعلُو الاصفرارَ وَجهَهَا / وتَرجُفُ الجبالُ رهبةً، وتَجمُدُ السُحبُ / لأنّه قَهقَهَ أو غَضِبَ / لأنّه ثَرثَرَ أو خَطبَ / لأنّه النَّار التي / تَفرِخُ ذراتِ الرَّماد وَالحَطَب! / نحن العرب / المُعجزاتُ والنبييون وأربابُ البَيان / منّا.. / ولولانا لَهانتْ عَبقَريةُ الزَّمان» (الفيتوري، ١٩٧٩، ج١: ٦١٠-٦١١)

عنترة بن شدّاد بطل عربي وفارس حرّ احتلّ مكانة عالية في الوجدان العربي وأصبح رمزاً للبطولة وهو يتّسم بدلالات القدرة والشجاعة، وهذه الأخلاقيات من أدوات تحرّه إضافة إلى بطولته الحربية. «إنّه بطل يأبى إلّا أن يموت على صهوة جواده ممتشقاً سيفه وحامياً لمن معه من الأهلين، إنّ النصر يكون حليفه في أغلب المعارك التي يخوصها. ويتجسّد النصر لدى عنترة في قدرته على قتل الكثيرين من خصومه من الملوك والأمراء» (العفيفي، ٢٠٠١: ٣٢٧)

يذكر الشاعر في هذه القصيدة ماضي أمته بما فيها من المآثر والمفاخر حتّى يوقظ الضمائر النائمة ويبعث في وجدان الشعب الأمل إلى مستقبل مشرق فالتغنّي بالمفاخر سبب للمقاومة والنهوض من أجل الدفاع عن الوطن والكرامة. ويعتبر عنترة في شعر الفيتوري مظهراً من مظاهر الشجاعة والمقاومة، فهو شاعر قد ذاق الآلام والمحن الكثيرة في سبيل النيل من الحرية. ويبجّل الفيتوري شجاعة عنترة وفروسيته ويذكره بالخير والعظمة، فعنترة من الأبطال والفارسين الذين لا يفخر الفيتوري به فحسب بل يتباهى به التاريخ العربي كلّه، وتصوير الأبطال من عناصر الشعر المقاوم الذي نراه بوضوح في أشعار الفيتوري النضالية.

٥. ٣. ٢.صالح علي الشرنوبي

مع أنّ الشرنوبي لم يكن شاعراً معروفاً إلّا أنّ الفيتوري يريد أن يصنع منه أسطورة فيخاطبه ويقول: نم عميقاً وهادئا والموت مثله مثل أحلام الحياة فالذين لم يدركوا أهمية حضورك وقاموا بإنكارك سيعترفون يوماً ما بقيمتك وسيأتون نحوك بكل تواضع واحترام، والتاريخ سيحكي للأجيال القادمة عن نظراتك المجهولة:

«نم عَميقاً..فالمَوتُ حُلمٌ طَويل/ همجي الرؤى..كحُلُم الحَياة/ والأُلى أنكروكَ يَوماً..سَيأتونك يَوماً/ في خَشعةٍ والتفات../ وسَيحكي التاريخُ للغَد..لِلأجيال/ تلك المَجهولة اللمَحات..» (الفيتوري، ١٩٧٩، ج١: ١٦٧)

يهتم الشاعر في قصيدة "إلى روح صالح علي الشرنوبي" بموضوع الشهادة والتضحية، ولا يعتبر الفيتوري الذين يضحّون بأنفسهم للوصول إلى الأهداف المتعالية ضمن الموتى فهو لا يقبل موتهم بل يراهم خالدين كالربيع، وهم باقون على حالهم من القوّة والعظمة، وسيحكيهم التاريخ يوماً ما وسيبوح بعظمتهم. فمدح هولاء الأبطال وذكراهم من مظاهر أدب المقاومة التي نراها بوضوح في نغماته الشعرية. ونلاحظ أنّ شعره يعطي للشرنوبي صورة حية وخالدة تبثّ روح الأمل وثقافة الجهاد ومحاربة الظلم بين الشعب فنراه يقول في القصيدة نفسها:

«أبداً لم تَمُت، فمِثلك فَوقَ المَوت/فَوقَ النسيان والذكريات/ إنّما المَوتُ لِلزَّواحفِ فَوقَ الأَرض/ لا لِلمُحلِّقين البزاة/ ولقد كنتَ في حياتِك كَالنَّسر/ قويُّ الجناح والضَّربات/ تَقطَعُ الكَونَ في انتفاضةِ ذهن/ وتَجوبُ القُرُونَ في لمَحَات/ أبداً لمْ تَمُت فمثلك فوقَ المَوتِ فوقَ النِّسيان والذِّكريات» (المصدر نفسه، ١٧١-١٧٢).

هذا الموقف يعني أنّ الموت في سبيل الوطن ليس موتاً بمعناه المألوف والمعهود و إنّما لهم حياة أبدية لا تنتهي والشرنوبي في شعر الفيتوري لايزال حيّا ويقاتل الأعداء من أجل الحرية والسير في طريق المجد والكرامة، والموت في أدب المقاومة هو موت يرتبط بالأرض والقيم والحريّة وهو ما نسمّيه بالاستشهاد، فالمناضل الوطني هو الشهيد من أجل الأرض وحرية الإنسان في وطنه.

« الموت في التاريخ الشخصي لأبطال المقاومة ليس موتا، إنّه بمثابة حل الأزمة التي يتجاوز به البطل إلى الحياة الدائمة في ظل الحرية و إلى بعث الحياة في القيمة الجديدة الباقية». (شكري، د.ت: ٢٠١) فيقوم الفيتوري في تشبيه جميل وبيان بسيط، بتشبيه الشرنوبي بنسر يحلّق في السماء وهو خالد دائماً، إنّ بيان عظمة وقدرة هولاء الأشخاص من ملامح المقاومة التي لم يغفل عنها الشاعر. فمن هذا المنطلق يدخل الشاعر في وادي الحسرة والشوق ويُبجّل قدرته ومساعيه، ففي هذا الشعر استعان الفيتوري ببعض أساليب التوكيد مثل: "أبداً لم تمت" و"لقد كنت" وأسلوب القصر في "إنّما الموت للزواحف"، وغرضه تعميق الدلالة على عظمة الشاعر وقدرته. فنجد في أشعار الفيتوري أنّه متأثر بالتراث الأدبي ويضمّن شعره الثوري أسماء لشخصيات أدبية وذلك ليعبّر عن بطولتها الحربية والأخلاقية وكفاحها ونضالها من أجل تحقيق التحرير الفردي والجماعي.

النتيجة

-إنّ الشخصيات الثورية في شعر محمد الفيتوري ذات علاقة وثيقة بالواقع الاجتماعي والمخاوف التي تساور العالم العربي في عالمنا اليوم. ومن أهم مضامين محمد الفيتوري الشعرية التي تتجلّى فيها صورة رفيعة من أدب المقاومة هو حبّ الوطن، والحريّة، ومكافحة الظلم والاستعمار، والدعوة إلى الكفاح. إنّ الشاعر استخدم الشخصيات الثورية كنلسون مانديلا ، وصلاح الدين الأيوبي والإمام الخميني (ره)، وهي من الشخصيات التي قد بقيت لامعة في أذهان جميع الشعوب المطالبة بالحرية. ويحاول الشاعر أن

يقيم علاقة بين هذه الشخصيات والواقع السياسي والاجتماعي المسيطر على مجتمعه. إنّ الشاعر عبر توظيفه لهذه الشخصيات يريد أن يحيي الأمل، ومحاربة الظلم، والتحدّي والثبات في نفسية أبناء شعبه، وهو شاعر قد ظلت صرخة الظلم والدعوة إلى اليقظة على قسم عظيم من أشعاره. وصرخة الفيتوري ليقظة الناس ونهوضهم تحتوي على قيم هامة مثل الحرية، والكرامة الإنسانية والحياة.

-فصوّرت لنا سيميائية الشخصيات جانباً من القضايا والأحداث الاجتماعية التي وقعت في مجتمع الشاعر ومن الواضح أنّ هذه الشخصيات الرمزية تحمل في طيّاتها الأوصاف الواقعية والمعاناة التي عاشها الشاعر في بلاده.إنّ هذه الشخصيات لا تنحصر في العالم العربي، بل لم يغفل الميراث العالمي و غير العربي، لأنّه يريد أن يوصل نداءه لجميع الناس في العالم. ويهدف الشاعر من خلال توظيفه للشخصيات إلى تبيين أصالة العرب ومجدهم. ودراسة أشعار الشاعر النضالية تمكّننا من التعرف على عمق التزامه بالنسبة إلى قضايا وطنه وتجعلنا قادراً على لمس حقائق حياته وحقائق أبناء شعبه في القارة السوداء. إنّ الاضطهاد واستعمار الأجانب والتبعيض العنصري في مجتمعه أدّى إلى التأثير في حساسية الشاعر المرهفة و إلى ظهور الوجدان الشعري المقاوم لدى الفيتوري.

-نجد في أشعار الفيتوري أنّه متأثر بالتراث الأدبي ويضمّن شعره الثوري أسماء لشخصيات أدبية كعنترة العبسي و...وذلك ليعبّر عن بطولتها الحربية والأخلاقية وكفاحها من أجل تحقيق التحرير الفردي والجماعي. إنّه يوظّف رموزاً طبيعية مثل الحديقة والعصافير والتراب و... لخدمة قضايا وطنية و إنسانية. وهذه الرموز تتباين من شاعر إلى شاعر آخر وفقاً لمكوّناته الثقافية والحياتية. ومفردات كالمطر والغاب والنهر والعاصفة، هي تمثّل إرادة أبناء الشعب من أجل الحصول على الحرية والسيادة على أرضه. وقد وظّف الفيتوري أسلوب التكرار في خدمة مضامين المقاومة والتكرار عنده يدلّ على عدم الخنوع أمام الظلم، ويبدو أنّ الشاعر يؤكد على عنصر المقاومة أمام الظالمين وكأنّه يعلن عن عزمه على مواصلة الثورة.

-إنّ ألفاظ (الأعداء، لهب، قذائف حمر، الحربة، مدفع، حارب، الظفر، الموت، عزة الأرض، و...) هيّأت جوّاً نفسياً لتعميق مواقف الشاعر وآرائه الثورية وتضعنا أمام انفعالاته وواقع أمته، وتنقل الإحساس بالمرارة الممزوجة بالتحدّي للمتلقّي، وكلمات (الثوّار، الأحرار، الاستعمار، تحدّيتم، قوى الظلام و...) هي التي تمثّل المعجم الشعري الثوري لهذا النص، وهي بسيطة، إلا أنّها غنيّة بالمعاني العميقة. والأفعال المضارعة مثل (سأصعد، سأغلق، أغسل، أقطع، أطبع) ترسم لنا أنّ المقاومة ستستمر وأنّ حركة المقاومة والنضال لا تنتهي بانتصار أو هزيمة بل تستمر هذه الحركة بعد الهزيمة أو النكسة.

المصادر والمراجع

١. الأحمر، فيصل (٢٠١٠م). معجم السيميائيات، الطبعة الأولى، بيروت: الدار العربية للعلوم.

٢. أمال، باشوش؛ دبال لامية (٢٠١٦). **سيميائية الشخصية في رواية الجازية والدراويش لعبد الحميد بن هدوقة أنموذجاً**، الجزائر: جامعة العقيد أكلي محند أولحاج-البويرة.

٣. بقاعي، ايمان يوسف (١٩٩٤). **الفيتوري الضائع الذي وجد نفسه**. الطبعة الأولى. بيروت: دار الكتب العلمية.

٤. بوداب، سعيدة (٢٠١٥). **سيميائية الشخصية في رواية إصرار لبوشعيب الساوري**، جامعة العربي بن مهيدي-أم البواقي، قسم اللغة والأدب العربي.

٥. تشاندلر، دانيال (٢٠٠٨م). **أسس السيميائية**، ترجمه طلال وهبة، مراجعة ميشال زكريا، الطبعة الأولى، بيروت: المنظمة العربية للترجمة.

٦. جباري، علی‌رضا (١٣٩٠). **زندگی نامه‌ی خود نوشت: نلسون ماندلا**. چاپ دوم. تهران: نشر قطره.

٧. جحا، ميشال خليل (١٩٩٩).**أعلام الشعر العربي الحديث من أحمد شوقي إلى محمود درويش**. الطبعة الأولى. بيروت: دار العودة.

٨. حسين، إبراهيم حسن (٢٠١٥). **التربية وثقافة المقاومة في الشعر العربي المعاصر**. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

٩. الخازن، وليم (١٩٩٢). **الشعر والوطنية في لبنان والبلاد العربية**. الطبعة الثالثة. بيروت: دار العلم للملايين.

١٠. دی ثورن، او.آر (١٣٦٨). **تاريخ ادبيات آفريقا**. ترجمه ابراهيم يونسی. چاپ اول. تهران: انتشارات نگاه.

١١. رحمين، علية (٢٠١٢م). **سيمياء العنوان في روايات عبدالحميد بن هدوقة والطاهر وطار دراسة سيميائيّة**. الجزائر: جامعة الحاج لخضر، كلية الآداب واللغات.

١٢. زايد، علي عشري (١٩٩٧). **استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر**. القاهرة: دار الفكر العربي.

١٣. الساعدي، حاتم (١٤٢٠). **اتجاهات الشعر العربي المعاصر**. الطبعة الأولى. قم: ستارة.

١٤. شكري، غالي (د.ت). **أدب المقاومة**. القاهرة: دار المعارف بمصر.

١٥. شيحة، زينب (٢٠١٦م). **أصول النظرية السيميائية عند شارل ساندرس بورس وتلقيها عند أحمد يوسف**، الجزائر: جامعة العربي بن مهيدي، كلية الآداب واللغات.

١٦. صالح، نجيب (١٩٨٤). **محمد الفيتوري والمرايا الدائرية**. الطبعة الأولى، بيروت: الدار العربية للموسوعات.

١٧. الطّباع، عمر فاروق (٢٠٠٦). **الرّفض في الشعر العربي المعاصر**. بيروت: مؤسسة المعارف.

١٨. العفيفي، محمد أبوالفتوح (٢٠٠١). **البطولة بين الشعر الغنائي والسيرة الشعبية عنترة بن شداد نموذجاً**. الطبعة الأولى، القاهرة: إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع.

١٩. العيد، مريم عبدالعزيز (٢٠١٨). «سيميائية الشخصية في رواية الغجرية والثعبان لإبراهيم الناصر الحميدان»، **مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإنسانية**، جامعة شقراء-السعودية، ص١٨١-٢٠٣.

٢٠. الفيتوري، محمد (١٩٧٩). **ديوان محمد الفيتوري**. ج١و٢. الطبعة الثالثة. بيروت: دار العودة.

٢١. ـــ (١٩٩٢). ديوان يأتي العاشقون إليك. الطبعة الأولى. مصر: دار الشروق.

٢٢. محفوظ، محمد (٢٠٠٥). **الحرية والإصلاح في العالم العربي**. الطبعة الأولى. بيروت: الدار العربية للعلوم.

٢٣. محمدية، أحمد سعيد (٢٠٠٨). **محمد الفيتوري ملامح من سيرة مجهولة**. الطبعة الأولى. بيروت: دار العودة.

٢٤. مغراوي، فاطمة، بوزمارن، نسرين (٢٠١٤م). **دراسة سيميائية لرواية "بحر بلا نوارس" للروائي جيلالي خلاص**. الجزائر، جامعة الجيلالي بونعامة بخميس مليانة.

٢٥. مفتاح، محمد (١٩٨٦). **تحليل الخطاب الشعري**، الطبعة الثانية، المغرب، المركز الثقافي العربي.

٢٦. منصوري، زينب (٢٠١٠). **ديوان أغاني أفريقيا لمحمد الفيتوري دراسة أسلوبية**. الجزائر: جامعة الحاج لخضر، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها.

٢٧. اليازجي، حليم (١٩٨٥). **السودان والحركة الأدبية**. الجزء الثاني. بيروت: منشورات الجامعة اللبنانية.

٢٨. مروّة، كريم (د.ت). تمّ استرجاعها بتاريخ ٢٧ فبراير ٢٠١٦ من http://www.ahram.org.eg/NewsQ/٤٨٢٠٦٣.aspx